Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن البكرى لا يدخل الى صلب الموضوع مباشرة وانما يتحدث عن القوانين العـامة التى تخضع لهـا الأمم جميعا فى ضعفها وارتقائها . ففريق من العلماء يرى أن هناك ناموسا طبيعيا تخضع له الامم مثلما يخضع له الأفراد . والفرد اذا جاء زمن مشـيه مشى وحـده واذا جاء زمن النطق نطق وحـده أيضا وكذلك المجتمعات الانسانية مسيرة بقانون ازلى اشبه بالقوانين الطبيعية والفلكية التى تسير الكواكب فى أفلاكها ، وكل مجتمع هو نتيجة حتمية لماض طويل الأمد يحمل معه كل بذور التحول ومراحل التطور التى يمر بها كما لا يبلغ المرء مرحلة من عمره ما لم يمر بالأدوار التى تفصله عنه . أما الفريق الثانى فيرى الأمة أشبه بالشمعة المذابة يمكن تشكيلها ، والارادة تفعل فى كيانها فعل المعجزات . قال بهذا أفلاطون وارسطو وليبنيز وليكورنج وأوضح دليل على صحة هـذا الرأى ـ فى نظر البكرى ـ اليابان التى استطاعت بارادة ابنائها تحقيق الأحلام .

ولكن ما السر وراء تحريك الارادة ؟ هنـا يلجأ البكرى الى ابحاث الفلاسـفة ويستعين بها . فليبنيز الحكيم يقول : « او كان امر التعليم موكولا الى لفيرت وجـه أوربا فى افـل من قرن » و « ديدرو » يقول : « علة العلل فى ارتقاء او انحطاط الأمم هو العلم او الجهل » . هذا فرض واحتمال من الاحتمالات العديدة ومنها الاستبداد ولـكن البكرى يدحض الفرض الأخير حين يقرر ان الحـكومة لا تكون الا على قدر استعداد الأمة ، وما شذ عن ذلك لا حـكم له ، لأن المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة ، فلا تلبث أن تتبدل بموت القائم بها ، بحكومة اخرى تفسد كل ما أتت به الأولى . ومن الفروض التى كانت تجول بالخواطر ايضا انتشار البدع باسم الدين وتكاثرها حتى كاد ان يتوارى جوهر الدين نفسـه ، فيقرر البكرى أن كل ذلك